هوامش

في «سطيحة كندة» تمتزج جلسات المقاهي التي تبعث الراحة وتنعش أجواء ملاقاة الأصدقاء مع أهداف العودة إلى معايشة الحياة اللبنانية التقليدية وتجديد قومية الانتماء العربي

جلسات في حضن التراث (العربي الجديد)

«سطيحة كندة»

مقهى العرب في بيت الجدود

صيدا ـ **انتصار الدنان**

يهرب الإنسان غالباً من ضوضاء التمدّن الصاخب إلى أماكن يشعر بأنها تمثل شخصيته، سواء على صعيد الشكل أو المغريات التي توفرها، وبينها تلك التي ترسم صورة الماضي الذي يرتاح إليه. «سطيحة كندة» في مدينة صيدا، جنوب لبنان، مكان يشبه غالبية محبي التراث الذين لا يشعرون براحة كبيرة في ارتياد المقاهي الحديثة. هي ليست مقهى يرتاده محبو المكان فقط لتناول نرجيلة وقهوة وتمضية بعض الوقت في التسلية، بل نقطة التقاء فريدة بين ثقافة الأغاني الطربية القديمة والمأكولات المحضّرة من خبز التنور، وموقع الجلسة الجميلة مع المحبين والأصدقاء.

عاشت خلود حاموش، المتحدرة من بلدة العديسة، جنوب لبنان، وتقيم في صيدا، مدة خارج البلاد بعدما عملت مدرّسة لمادة الفلسفة، ثم قررت بخلاف مسار غالبية مواطنيها العودة إلى لبنان خلال أيام ثورة 17 أكتوبر/ تشرين الأول 2019، حين شعرت بعدم الرغبة في المغادرة مجدداً وأدركت أنه يجب أن تقوم بعمل ما، وتقول لـ«العربي الجديد»: «أسست بعد عودتي جمعية ضاد اللغة العربية مع مجموعة من أصدقائي الذين تعاونت معهم في مهمات اجتماعية تتطلب استمرارية عبر رفدها بوسائل دعم. وضم مركز الجمعية سطيحة قررنا أن نستغلها بعمل ما، فأنشأنا مكتبة ثقافية يرتادها طالبو المعرفة، ثم ظهرت فكرة المقهى الذي يجمع الناس لكن بصورة مكان مختلف يتميّز بطابع تراثي يشبهنا، ويعود فيه رواده إلى كل ما هو قديم».

سطيحة بيت القرية

وعن سبب تسمية المقهى بـ«سطيحة كندة»، تقول حاموش: «السطيحة تشبه البيت. وتشير التقاليد إلى أنه أمام كل بيت قروي في لبنان كانت توجد سطيحة، أي مكان واسع تجلس فيه العائلة، وتزرع على جانبيه أنواعاً مختلفة من النباتات. أما اسم كندة، فيرمز إلى أول قبيلة عربية دعت إلى القومية العربية».

وتتابع: «يحتاج الجيل الجديد للتعرف إلى تاريخه وعاداته وتراثه، وبينها هدف القضية العربية. وأردنا أن يكون طابع المقهى شرقياً يشبهنا، ويحاكي مجتمعنا والجيل الجديد الذي يتطلع إلى معرفة ثقافته». وعن النشاط الثقافي في المقهى، توضح حاموش أنه «لدينا كتب ثقافية مختلفة يستطيع القارئ البحث عما يريده فيها. ووضعنا على الجدران صوراً لأدباء وشعراء وفنانين كبار لعكس فكرة استمرار المعرفة بأعمالهم. والموسيقى والأغاني التي يسمعها الحاضرون قديمة وتراثية هادفة، أما الرسومات الموجودة على جدران المكتبة فرسمتها شابة في الـ17 من العمر تدعى هاجر، وتنقل صور العصفور الأزرق غير الموجود إلا في فلسطين».

أفضل من مقاهي الطابع الغربي

وبالانتقال إلى رواد المقهى، تتحدث سالي زيدان (23 عاماً)، المتخرجة من جامعة رفيق الحريري وتقيم في مدينة صيدا، عن تجربتها بالقول لـ«العربي الجديد»: «علمت بوجود سطيحة كندة عبر موقع فيسبوك، وكنت سعيدة بزيارتي الأولى له، فصرت أقصده للتمتع بمكان يشبهني، ويجعلني أعيش في أجواء التراث العربي القديم والبيت اللبناني في زمن أجدادنا. وقد رافقني أصدقاء مغتربون إلى المقهى وأعجبوا به».

تضيف: «آتي إلى هنا كل يوم تقريباً، لأنني أشعر بأنني موجودة في بيت أهلي، وأعتبر المقهى أفضل من تلك المقاهي ذات الطابع الغربي الذي اندمجنا به سابقاً ما أبعدنا عن تراثنا العربي وعاداتنا وتقاليدنا. أرى أن المقهى فسحة لإعادة إحياء التراث العربي، والعودة إلى البيت اللبناني التقليدي. وأنا أستمع هنا إلى الموسيقى العربية وألعب طاولة الزهر، وآكل الطعام اللبناني الصحّي». أما دانة اليماني (25 عاماً)، وهي مهندسة ميكانيك تقيم في صيدا، فتقول لـ«العربي الجديد»: «قدمت مع مجموعة من أصدقائي للمرة الثانية إلى المقهى، بعدما كنا قد تناولنا عشاءً صحّياً فيه في المرة الأولى. في سطيحة كندة يشعر الشخص بأنه في بيته. الطعام لذيذ ويعكس التراث العربي واللبناني، وأنا أدعو الشباب إلى الابتعاد عن المقاهي ذات الطابع الغربي، والقدوم إلى هنا».

ويقول إبراهيم، المتحدر من مدينة حلب السورية والمقيم في مدينة صيدا، والذي يحضّر خبز التنور في السطيحة، لـ«العربي الجديد»: «نقدم في سطيحة كندة خبز التنور وأنواع المأكولات بأسعار مقبولة وأقل من أماكن أخرى. وأنا أشجع الجميع للمجيء إلى السطيحة كي يستمتعوا بالجو العربي التراثي والمأكولات الصحية».

باختصار

«سطيحة كندة» مكان يشبه غالبية محبي التراث الذين لا يشعرون براحة كبيرة في ارتياد المقاهي الحديثة

■■■

السطيحة تشبه البيت. وتشير التقاليد إلى أنه أمام كل بيت قروي في لبنان كانت توجد سطيحة تجلس فيها العائلة

■■■

المقهى يحاكي المجتمع الشرقي والجيل الجديد الذي يحتاج إلى معرفة تاريخه وعاداته وتراثه، وبينها هدف القضية العربية

وأخيراً

اللغة والمجتمعات الفاشلة

رشا عمران

في خمسينيات القرن الماضي، بدأ الشاعر اللبناني، سعيد عقل، سلسلة محاضرات تحدّث فيها عن ضرورة اعتماد اللبنانيين ما سمّاها وقتها «اللغة اللبنانية»، وهي اللهجة اللبنانية نفسها مكتوبة بأحرف لاتينية تقليدية، مضافا إليها أحرفا جديدة اخترعها هو لتتناسب مع بعض الأحرف الصوتية اللبنانية. اختفت تلك الدعوة التي لم يكترث بها أحد وقتها، اختفت طويلا، وعاد صاحبها إلى كتابة أجمل القصائد بالفصحى. ثم عاد في عام 1967 إلى إحياء فكرته القديمة، ويؤسّس دار نشر (دار أجمل الكتب) مختصة بنشر الكتب بـ«اللغة اللبنانية»، وفشل المشروع، ليعيد في ثمانينيات القرن الماضي طرحه، مترافقا هذه المرّة مع خطاب عنصري ضد الفلسطينيين ومهللا لإسرائيل، ناسفا بذلك انحيازه الأيديولوجي نحو فكر أنطون سعادة المعادي لليهود، وليس للصهيونية فقط، في تمثل تام لمنهج النازية.

بطبيعة الحال، لم تلق دعوات سعيد عقل تلك أي قبول أو انتشار في المجتمع اللبناني الذي قدّم للغة العربية وثقافتها أسماء عظيمة، أسهمت في بناء النهضة العربية. ولكن قد يكون من المفيد الملاحظة أن دعواته ومحاولاته استبدال العربية بلغة لبنانية كانتا مترافقتين مع انكسارات سياسية كبيرة للعرب، النكبة 1948 ثم الهزيمة 1967 ثم الحدث الأهم له بصفته لبنانيا، الحرب الأهلية اللبنانية، وما خلفته من نتائج كارثية على كل المستويات، كان أخطرها اجتياح إسرائيل لبنان عام 1982، والذي يبدو أنه خلخل الثوابت لدى عقل، وأظهر فيه عنصرية معاكسة متعاطفة مع العدو التاريخي لأيديولوجيته، جعلته يستعيد دعواته إلى استبدال اللغة بوصفها حامل الوعي الأول للكائن البشري.

تُعرّف اللغة بأنها «نسق من الإشارات والرموز تشكّل أداة من أدوات المعرفة، وواحدة من أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وبدون اللغة يتعذّر نشاط الناس المعرفي، وهي ترتبط بالتفكير ارتباطا وثيقا، فأفكار الناس تصاغ دوما في قالب لغوي حتى في حال تفكيره الباطني». واللغة عموما معرّضة للتطور ولاستقبالها مفردات جديدة تتناسب مع حراك الزمن، ومع التطوّر التقني، أو نتيجة التداخل والتمازج اللغوي الذي تتركه الكولونيالية، أو هيمنة لغة ما بسبب نشاطها التكنولوجي. كما تتعرض اللغة لنبذ مفردات أو مصطلحات قديمة فيها تحولت إلى مفردات قاموسية أو معجمية تراثية، بسبب عدم استخدامها في الأزمان المتتالية. هذه الحركة المتواصلة في اللغة من الظواهر الصحية التي تبقي اللغات حية وطازجة وصالحة لكل زمان؛ لكن هذا يحدُث حينما تكون المجتمعات منجزةً ومستقرّة، ولا تتعرّض لصدمات تخلخل بنيتها وكينونتها الثقافية والفكرية، من حيث إن الثقافة سلوك اجتماعي يميز مجتمعا عن آخر. في هذه المجتمعات، لن تنظر إلى اللغة بكل ما يطرأ عليها من تغيرات بوصفها أزمةً ما، بل بوصف ما يحدُث لها بديهي لا يحتاج إلى نقاش أصلا.

تحدُث المشكلة مع اللغة في المجتمعات الفاشلة، في أزماتها الكبيرة، حين تفكيك بنية مجتمع ما نتيجة عوامل سياسية أو اقتصادية أو كولونيالية، عندما يفقد أبناء هذه المجتمعات مفهوم الهوية الواحدة، عندما تصبح الهويات الهامشية هي المتن. ومعروفٌ أن المجتمعات الفاشلة هي الأكثر عنصرية، تظهر هذه العنصرية بداية مع اللغة، حيث ينقسم أبناء هذه المجتمعات في العلاقة مع اللغة بالتوازي مع الانقسام الهوياتي، كأن يعتبر أصحاب الأيديولوجيا القومية أو الدينية أن المساس باللغة هو مساس بالثوابت، وهو ما يشكل خطرا كبيرا، بينما يرى أنصار الشوفينية الوطنية اللغة هذه تراثية تعيق تطور المجتمع، وبالتالي يجب استبدالها باللهجة العامية الدارجة، واعتبار هذه اللغة الوطنية الرسمية، وهو نقاش يثار أخيرا في أكثر من دولة عربية، من دون أن ينتبه مثيرو الأمر إلى المشكلة الأساسية خلف ذلك النقاش، المشكلة التي يديرون رؤوسهم عنها: الهزائم المجتمعية الكبيرة نتيجة عقود تتجدّد من الطغيان والاستبداد والفشل في التنمية والتعليم، والتخلف عن مواكبة المتغيرات العالمية الكبرى، وعن التقدّم المذهل في العلوم والتكنولوجيا، والمزيد من الانكماش والتقوقع أمام فيض الحريات الذي يجتاح العالم المتقدم، وتصل إلينا آثاره عبر وسائل الاتصالات الحديثة التي نستهلكها من دون أن تكون لنا أية علاقة بظهورها أو بتطورها.

> اللغة عموماً معرّضة للتطور ولاستقبالها مفردات جديدة تتناسب مع حراك الزمن، ومع التطوّر التقني

يكثر حاليا أصحاب الدعوات المشابهة لدعوة سعيد عقل، لكن عقل انطلق من وعي لغوي بالفصحى رفيع المستوى، بينما ينطلق معظم هؤلاء من جهل باللغة ونشوئها مترافقا مع عنصرية هوياتية مضادّة تماما للانفتاح الكوني الحاصل حاليا.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**